الخطّة الدراسيّة للفصل الأوّل للعام المأتمي 2019-2020م

الفرقة: السادسة

رمز المقرر: خلق ٦٠١

اسم المقرّر: الحديث الشريف (٢)

توصيف المقرّر

يتناول هذا المقرر مجموعة من الأخلاقيات التي نصت عليها بعض الأحاديث الشريفة.، ساعيًا إلى تكريس الاهتمام بالنصوص الشريفة الواردة عن المعصومين عليهم السلام.

الخطّة الأسبوعيّة

الأسبوع	الموضوع	الصفحة
الأوّل	اتباع الهوى	٥
الثّاني	الحسد ١	٩
الثّالث	الحسد ٢	١٣
الرّابع	التفكّر	١٧
الخامس	التقوى	٢١

فهرس المحتويات

الدرس	العنوان	الصفحة
الأوّل	اتباع الهوى	٥
الثّاني	الحسد ١	٩
الثّالث	الحسد ٢	١٣
الرّابع	التفكّر	١٧
الخامس	التقوى	٢١

أهداف الدرس: يتوقع من الطالب بعد دراسة هذا الدرس:

١. أن يتعرّف إلى خطورة اتّباع هوى النفس.
٢. أن يعدد مراتب هوى النفس.
٣. أن يتبيّن أسباب الغفلة.

عن أمير المؤمنين عليه السلام :

"إنّما أخاف عليكم اثنتين: اتباع الهوى وطول الأمل، أمّا اتباع الهوى فإنّه يصدّ عن الحقّ وأمّا طول الأمل فإنّه ينسي الآخرة".

طبيعة الإنسان في ولادته ونموّه:

إنّ النفس الإنسانية رغم كونها مفطورة على التوحيد والعقائد الحقّة، إلّا أنّها في نفس الوقت منذ ولادتها وخروجها إلى هذا العالَم تنمو معها الميول النفسية والشهوات الحيوانية، فالإنسان منذ ظهوره وبعد مروره بمراحل عدّة لا يعدو أن يكون حيواناً ضعيفاً لا يمتاز عن سائر الحيوانات إلّا بقابلياته الإنسانية.

فالإنسان عند دخوله هذا العالَم تكون الصفات الحيوانية هي الفعّالة فيه، فلا معيار له سوى شريعة الحيوانات الّتي تديرها الشهوة والغضب. وبالإضافة إلى هاتين القوّتين نجد عند الإنسان صفات أخرى لم تكن ممكنة عند الحيوانات، وهي مثل الكذب والخديعة والنفاق والنميمة وسائر الصفات الشيطانية الأخرى الّتي يجمعها كلمة "هوى النفس" والّتي يلجأ إليها الإنسان ليدبّر أمور هاتين القوّتين، وهو بهذه القوى الثلاث (الغضب والشهوة وهوى النفس) يخطو ويتقدّم وينمو، وتنمو معه هذه القوى الثلاث وتتقدّم وتتعاظم، وإذا لم تقع تحت تأثير المربّي والمعلِّم، فإنّه يصبح عند الرشد والبلوغ حيواناً عجيباً يسبق حتّى الحيوانات والشياطين، ويكون أقوى وأكمل في مقام الحيوانية والصفات الشيطانية من الجميع!

وستنطفئ فيه جميع الأنوار الفطرية وبالتّالي فلن يصل لشيء من الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة. ومن هنا يتّضح أنّ ميزان البعد عن الحقّ هو اتباع هوى النفس، وبمقدار التبعية يحصل البعد.

قبح اتّباع الهوى:

يقول الله تعالى في قبح اتّباع النفس وأهوائها:

(وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ)، **(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ)**.

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

"احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيء أعدى للرجال من اتّباع أهوائهم وحصائد ألسنتهم".

إنّ رغبات النفس وأمالها لا تنتهي، فإذا اتبعها الإنسان بخطوة واحدة، فستستدرجه للثانية ثمّ الثالثة وهكذا... فبفتحك باباً واحداً لهوى نفسك فإنّك ستصل إلى فتح كلّ الأبواب وستُبتلى بآلاف المهالك، حتّى تنغلق جميع طرق الحقّ بوجهك لا سمح الله وهو أكثر ما يخشاه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام.

تعدُّد هوى النفس:

إنّ أهواء النفس متعدّدة ومتنوّعة بحسب ما تتعلّق به هذه الأهواء، وكلّ نوع منها له مراتبه أيضاً، الّتي قد تكون خفية في بعض الأحيان إلى درجة أنّ الإنسان لا يلاحظها ويغفل عنها. وهذه المراتب:

١) أصحاب الأهواء الباطلة الذين يعبدون الذهب وغيرها كما يخبر الله تعالى عنهم: **(أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ)**.

٢) أصحاب الأهواء والأباطيل الشيطانية في عقائدهم وأخلاقهم الفاسدة، فهم يحتجبون عنه سبحانه بصورة أخرى.

٣) أصحاب المعاصي الكبيرة والصغيرة والموبقات والمهلكات يبتعدون عن سبيل الحقّ بصورة ثالثة.

٤) أهل الأهواء في الرغبات النفسية المباحة مع الانشغال والانهماك فيها يتخلّفون عن سبيل الحقّ بصورة رابعة.

٥) أهل المناسك والطاعات الظاهرية الذين يعبدون من أجل عمران الآخرة وتلبية الشهوات النفسية، ومن أجل البلوغ إلى الدرجات العلى، أو الخشية من العذاب الأليم والنجاة من الدركات السفلى يحتجبون عن الحقّ وسبيله بصورة خامسة.

وهناك مراتب فوق تلك أيضاً، فعلى أصحاب هذه المراتب أن يراقبوا حالهم بدقّة، لئلّا يتخلّفوا عن طريق الله تعالى ولا يضلّوا عن صراط الحقيقة المستقيم.

طول الأمل ينسي الآخرة:

إنّ اليقظة هي أوّل منزل من منازل الإنسانية، فعلى الإنسان أن يلتفت إلى أنّه مسافر، والمسافر لا بدّ له من المسير، وأنّ له هدفاً يجب الحركة نحوه، وأنّ الوصول ممكن، وما لم يلتفت إلى هذه الأمور فلن يكون له عزم وإرادة.

إنّ من أهمّ أسباب عدم اليقظة هو أن يظنّ الإنسان أنّ هناك متّسع من الوقت للبدء بالسير، وأنّه إذا لم يبدأ اليوم فسيبدأ غداً.

إنّ طول الأمل هذا والظنّ بطول البقاء والرجاء بسعة الوقت والأمل بالدنيا، يمنع الإنسان من التفكير في المقصد الأساسي الّذي هو الآخرة.

إنّ أمامك رحلة خطرة لا مناص لك منها، وما يلزمها من عدّة وعدد وزاد وراحلة هو العلم والعمل الصالح. وهي رحلة ليس لها موعد معيّن، فقد يكون الوقت ضيّقاً جداً، فتفوتك الفرصة. إنّ الإنسان لا يعلم متى يُقرع جرس الرحيل للانطلاق فوراً.

خلاصة الدّرس:

- إنّ الإنسان رغم كونه مفطوراً على التوحيد والعقائد الحقّة، إلاّ أنّه منذ ولادته تكون الصفات الحيوانية فعّالة فيه عبر قوّتي الشهوة والغضب بالإضافة إلى هوى النفس الّذي يدبّر أمور هاتين القوّتين.
- لا بدّ من إخضاع القوى الثلاث (الشهوة الغضب هوى النفس) للعقل والشريعة حتى تستسلم حيوانيته لإنسانيته.
- قد ورد الكثير في الشريعة الإسلامية في قبح اتباع هوى النفس، (**وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّه**)، وعن الإمام الصادق عليه السلام: "**احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيء أعدى للرجال من اتّباع أهوائهم...**".
- ينبغي عدم فتح الباب لهوى النفس من الخطوة الأولى وإلّا استدرجك هواك إلى خطوات أخرى.
- **لهوى النفس مراتب، منها:** أصحاب الأهواء الباطلة، أصحاب المعاصي، أصحاب الأهواء في الرغبات المباحة، أهل المناسك والطاعات الظاهرية.
- اليقظة هي أوّل منزل من منازل الإنسانية، ومن أسباب عدم اليقظة طول الأمل.

مشروع تعليم الصلاة

الدرس الثاني

الحسد (1)

أهداف الدرس: يتوقع من الطالب بعد دراسة هذا الدرس:

١. أن يفرق بين الحسد وبين الغبطة.
٢. أن يذكر أسباب الحسد.
٣. أن يعدد مفاسد الحسد.

عن الإمام الصادق عليه السلام :

"قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله عزّ وجل لموسى بن عمران: يا ابن عمران لا تحسدنّ الناس على ما آتيتهم من فضلي ولا تمدّنّ عينيك إلى ذلك ولا تتبعه نفسك، فإنّ الحاسد ساخط لنعمي صادّ لقسمي الّذي قسمت بين عبادي ومن يك ذلك فلست منه وليس منّي".

معنى الحسد:

الحسد حالة نفسية يتمنّى صاحبها سلب الكمال والنعمة الّتي يتصوّرهما عند الآخرين. سواء كان عنده مثلها أو لا، وسواء أرادها لنفسه أم لم يردها.

وإنّما ذكرنا أنّها نعمة "يتصوّرها" عند الآخرين؛ لأنّ الإنسان كثيراً ما يقع في الوهم ويظنّ النقمة نعمة والنقصان كمال. وكثيراً ما يتمنّى أمراً يظنّه نعمة وهو نقمة ويطلب أمراً يظنّه كمال وهو نقص.

إذاً فالّذي يرى في الآخرين نعمة، حقيقة كانت أو موهومة، ويتمنّى زوالها، يعد حاسداً.

الفرق بين الحسد والغبطة: الحسد هو ما ذكرناه من تمنّي زوال النعم المتصوّرة عند الآخرين، وهو غير الغبطة، لأنّ الغبطة هي أن يتمنّى الإنسان الحصول على هذه النعم الّتي رآها عند الغير ولكنّه لا يتمنّى زوالها عن الآخرين. فمجرّد تمنّي الحصول على النعم لا يعتبر حسداً، ما لم يتضمّن تمنّي زوال النعم عن الغير.

ما هي أسباب الحسد؟

ذكر العلّامة المجلسي قدّس سرّه أسباب الحسد في سبعة أمور:

الأول – **العداوة.**

الثاني **التعزُّز**: فهو يعتقد أنّ الآخرين سيتكبّرون عليه من خلال النعم المتوفّرة عندهم، وهو لا يطيق ذلك لعزّة نفسه.

الثالث **الكبر**: فهو بطبيعته يتكبّر على الناس. وحصول النعم عند غيره سيحدّ من تكبُّره عليهم.

الرابع **التعجُّب**: فيتعجّب من فوز هؤلاء الناس بمثل هذه النعم الّتي يعتبرها عظيمة كما أخبر تعالى عن الأمم الماضية (**مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا**)، فتعجّبوا أن فاز الأنبياء برتبة الرسالة والوحي والقرب مع أنّهم بشر مثلهم فحسدوهم.

الخامس **الخوف**: فوجود النعم بيد غيره سيجعله خائفاً على طموحاته الخاصّة من هذا الشخص الّذي قد يزاحمه بسبب ما بيده من نعم.

السادس **حبُّ الرئاسة**: هذه الرئاسة الّتي تنبني على امتيازات ونعم تتحقّق عنده دون غيره.

السابع **خبث الطينة**: فلا يكون هناك سبب من هذه الأسباب، ولكن لخبث النفس وشحّها بالخير لعباد الله.

ما ذكره العلّامة المجلسي صحيح ولكن كلّه يرجع إلى سبب واحد هو الأساس لكلّ حسد يمكن أن يقع فيه الإنسان، وهو "**رؤية ذلّ النفس**" فإنّ الإنسان عندما يلاحظ وجود الكمال في غيره تنتابه حالة من الذلّ والانكسار، وسينتج عن هذه الحالة الحسد حتماً إذا لم يكن قد أدّب الإنسان نفسه أو لم يكن هناك موانع أخرى.

مفاسد الحسد:

إنّ هناك الكثير من الأمراض القلبية الأخرى الّتي تنتج عنه كالكبر وإحباط الأعمال، وكلّ واحد منها تكفي لهلاك الإنسان.

وسنكتفي من المفاسد بذكر ما نقل عن الصادق عليه السلام: "**آفة الدِّين الحسد والعجب والفخر**".

وفي رواية عن أبي جعفر عليه السلام: "**إنّ الرجل ليأتي بأيّ بادرة فيكفر، وإنّ الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب**".

من المفاسد الكبيرة الّتي لا تنفكّ عن الحسد أنّ المؤمن يحسن الظنّ بالله تعالى. وهو راض بقسمه الّذي يقسمه بين عباده. أمّا الحسود فساخط على الله تعالى وليّ نعمته، يشيح بوجهه عن تقديراته.

عقاب الحسد:

إنّ انشغالنا في هذه الدنيا قد أعمى أعيننا وأصمّ آذاننا! إنّ ضيق القلب وكدره الّذي سبّبه الحسد سيتسبّب بضيق القبر وظلمته! فإنّ ضيق القبر أو اتساعه منوط بضيق الصدر أو انشراحه كما ذكر العلماء.

إنّ الضيق والضغط والكدر والظلام الّذي يحصل في القلب بسبب الحسد قلّما يوجد في خلق فاسد آخر. فصاحب هذا الخُلُق يعيش في الدنيا معذّباً مبتلى ويكون له في القبر ضيق وظلمة.

أمّا في الآخرة فسيحشر مسكيناً متألّماً، يكفي الحديث القدسي المروي عن الإمام الصادق عليه السلام: "**من يك كذلك فلست منه وليس منّي**"، ولا نفهم ماذا يحمل لنا تبرّؤ الحقّ تعالى منّا وإعراضه عنّا من مصائب. إنّ من يخرج عن ولاية الله ويُطرد من ظلّ رحمته لن يكون له أمل في النجاة، ولن تشمله شفاعة الشافعين (**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه**) من سيتقدّم ليشفع لمن سخط عليه الله وخرج من حصن ولايته ! لم يزل الأنبياء والأولياء يصرخون في آذاننا ليوقظونا من النوم ولكنّنا نزداد غفلة وشقاء يوماً بعد يوم!

خلاصة الدّرس:

- الحسد حالة نفسية يتمنّى صاحبها سلب النعمة حقيقية كانت أم موهومة عن الآخرين.
- الغبطة تختلف عن الحسد في أنّ الإنسان يتمنّى النعمة الّتي عند الآخرين دون أن يتمنّى سلبها عنهم.
- من أسباب الحسد: العداوة، التعزّز، الكبر، التعجُّب، الخوف، حبّ الرئاسة، خبث الطينة. وكلّها ترجع إلى سبب واحد وهو الأساس لكلّ حسد وهو "**رؤية ذلّ النفس**".
- للحسد مفاسد عديدة، منها: الكبر، إحباط الأعمال، ذهاب الإيمان، غلبة حبّ الدنيا، الوقوع في الخوف والحزن، عبوس الوجه، السخط على الله تعالى وعدم الرضا بقسمه.
- إنّ الحسود سيكون عقابه ضيق قبره وظلمته وفي الآخرة حرمانه وألمه.

مشروع تعليم الصلاة

الدرس الثالث

الحسد (2)

أهداف الدرس: يتوقع من الطالب بعد دراسة هذا الدرس:

١. أن يذكر جذور الحسد.

٢. أن يتعرّف إلى علاج الحسد.

عن الإمام الصادق عليه السلام :

"قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله عزّ وجل لموسى بن عمران: يا ابن عمران لا تحسدنّ الناس على ما آتيتهم من فضلي ولا تمدّنّ عينيك إلى ذلك ولا تتبعه نفسك، فإنّ الحاسد ساخط لنعمي صادّ لقسمي الّذي قسمت بين عبادي ومن يك ذلك فلست منه وليس منّي".

هل يحقّق الحسود أهدافه؟

يجب أن تعلم أنّ حسدك لا يضرّ المحسود، فلن تزول عنه النعمة لمجرّد أنّك تحسده، بل على العكس تماماً سيستفيد نتيجة حسدك في الدنيا والآخرة.

سيستفيد في الدنيا لأنّك عدوّه وحاسده، فشقاؤك وحزنك سيعدّ نفعاً له، فعذابك وأنت عدوّه هو نعمة بالنسبة إليه، وإذا التفتّ إلى هذا الموضوع سيزداد عذابك وتألّمك وفي ذلك نعمة جديدة له أيضاً وهكذا...وعليه فإنّك ستكون دائماً في عذاب وشقاء وتعاسة وغمّ، وهو في نعمة وسرور وانبساط.

وسيستفيد في الآخرة أيضاً، خصوصاً إذا كان الحسد قد دفع بك إلى الغيبة والافتراء وسائر الرذائل، ممّا يستوجب أخذ حسناتك وإعطائها له، فتصبح أنت مفلساً في الآخرة، ويزداد هو نعمة وعظمة.

جذور الحسد:

إنّ العلم محلّه العقل، والإيمان محلّه القلب، وجميع المفاسد الأخلاقية والعملية سببها أنّ العلم الّذي أدركه العقل عن طريق الدليل والبرهان والأخبار لم يتجاوزه ليصل إلى القلب، فبقي القلب غافلاً عن الإيمان لا يعرف عنه شيئاً

الحسود لا يؤمن بالعدل الإلهي:

إنّ من الفطرة الإلهية الكامنة في أعماق البشر حبّ العدل والرضى به، وكراهة الظلم وعدم الاستسلام له، فالقلب يخضع بالفطرة للقسمة العادلة وينفر بالفطرة من الجور، فإذا سخط على النعمة وأعرض عن القسمة فذلك لأنّه لا يرى ذلك عدلاً، بل يراه والعياذ بالله جوراً، مع أنّك في أصول العقائد تقول إنّ الله عادل. إنّ الحسد يناقض الإيمان بالعدل، فلو كنت ترى الله عادلاً لرأيت تقسيمه عادلاً أيضاً.

ما هو العلاج العملي للحسد:

حتّى تستطيع أن تواجه هذه الرذيلة وتعالج هذا المرض الّذي ابتليت به، عليك أن لا تجاري هذه النفس ولا تتبع خطواتها، من إظهار البغض للمحسود، إنّ نفسك تدعوك لإيذائه واعتباره عدوّاً وتكشف لك عن مساوئه ومفاسده وتركّز عليها.

يجب أن تقوم بعكس ذلك تماماً لكسر هذه النفس، فتُظهر المحبّة له وتترحّم عليه وتجلّه وتحترمه، واحمل لسانك على أن يذكر محاسنه، واعرض أعماله الصالحة على نفسك وعلى الآخرين، وتذكّر صفاته الجميلة.

الحسد الّذي لم يظهر:

ورد في بعض الأحاديث الشريفة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ما مضمونه:

"إنّ الله رفع عن أمّتي تسع... ومنها الحسد إذا لم يظهر من خلال يده أو لسانه".

قد يتصوّر بعضهم في بداية الأمر أنّه لا مشكلة ولا عيب من الحسد الّذي لم يترتّب عليه آثار عملية تظهر من خلال يد الإنسان أو لسانه، ولكن هذا التصوّر خاطئ.

لربّما يرفع هذا الحديث العقاب المباشر على هذا الشعور، ولكنّه لا يرفع آثار هذا الشعور داخل الإنسان، تلك الآثار الخطيرة جداً الّتي تحدّثت عنها الروايات. فيكفي أنّ الحسد نار تحرق الإيمان، وأنّ الله تعالى بريء من الحسود وأنّه مطرود من حضرته، وغيرها من المفاسد الّتي ذكرناها قبل ذلك.

خلاصة الدّرس:

- إنّ الحسود لا يضرّ المحسود بل سيفيده في الدنيا والآخرة.
- من جذور الحسد: أنّ الحسود لا يؤمن بالعدل الإلهي، وإن آمن بذلك عقلاً فإنّ قلبه لم يؤمن.
- من العلاجات العملية للحسد: أن تظهر المحبّة للمحسود وتجلّه وترحمه، وأن تحمل لسانك على ذكر محامده، وتذكر صفاته الحسنة واعرضها على الآخرين.
- إنّ حديث: "إنّ الله رفع عن أمّتي تسع... ومنها الحسد إذا لم يظهر من خلال يده أو لسانه..." لربّما يرفع العقاب المباشر على الحسد إن لم يظهر، ولكنّه لا يرفع الآثار المدمِّرة للحسد. وممكن تأويله بمعانٍ أخرى.

أهداف الدرس: يتوقع من الطالب بعد دراسة هذا الدرس:

١. أن يدرك أهميّة التفكُّر.
٢. أن يُعدّد مراتب التفكُّر.
٣. أن يتعرّف إلى أهمّ آثار التفكُّر.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

"كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: نَبِّهْ بَالتَفَكُّرِ قَلْبَكَ وَجافِ عَنِ اللَّيْلِ جَنْبَكَ وَاتَّقِ اللهَ رَبَّكَ".

في بيان فضيلة التفكُّر:

اعلم أنّ للتفكُّر فضائل كثيرة. فالتفكُّر هو مفتاح أبواب المعارف وخزائن الكمالات والعلوم، وهو مقدّمة لازمة وحتمية للسلوك الإنساني، وله في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة تعظيم بليغ وتمجيد كامل، كما أنّ تاركه معيّر ومذموم. وقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: "**أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ إِدمانُ التَّفَكّرِ فِي الله وفِي قُدْرَتِه**"، وفي حديث آخر: "**تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيامِ لَيْلَةٍ**".

وفي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "**إِنَّ تَفَكُّرَ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ**". وفي حديث غيره: "**إِنَّ تَفَكُّرَ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتّينَ سَنَةٍ**"، وفي رواية: "**سَبْعِينَ سَنَةٍ**"، وعن بعض علماء الفقه والحديث: "**أَلْفَ سَنَةٍ**" وعلى كلّ حال، إنّ للتفكُّر درجات ومراتب، ولكلّ مرتبة نتيجة أو نتائج، وسوف نتناول بعضها.

الأوّل: التفكُّر في الحقّ تعالى:

أوّل مراتب التفكُّر هو التفكُّر في الحقّ تعالى وأسمائه وصفاته وكمالاته. ونتيجة ذلك هو العلم بوجوده وبأنواع تجلّياته. وهذا أفضل مراتب التفكُّر.

الثاني التفكُّر في المصنوع:

ومن مراتب التفكُّر، التفكُّر في روائع الصنع وإتقانه ودقائق الخلق، بما يتناسب وقدرة الإنسان من طاقة للتفكُّر. ونتيجة هذا التفكُّر هي معرفة المبدأ الكامل والصانع الحكيم.

الثالث: التفكُّر في أحوال النفس:

من درجات التفكُّر التفكُّر في أحوال النفس وهو يؤدّي إلى نتائج كثيرة ومعارف عديدة. وإنّنا سنلقي نظرة على نتيجتين اثنتين: **الأولى:** العلم بيوم المعاد. **والثانية:** العلم بإرسال الرسل وإنزال الكتب، أي النبوة العامة، والشرائع الحقّة.

الأولى: العلم بيوم المعاد

إنّ من حالات النفس هو تجرّدها، وهي حالة لم يُولِ الحكماء العظام أهمية لأية مسألة حكمية فلسفية أخرى مثلما أَوْلُوا هذه المسألة وأثبتوها بالأدلّة والبراهين. ولكنّنا لسنا الآن في صدد إثبات تجرُّد النفس بصورة مفصّلة، وإنّما نكتفي ببعض الأدلّة الّتي لا تستعصي مبادئها على الفهم، للوصول إلى المقصود.

١- يجمع الأطباء وعلماء الأبدان، وفي ظلّ التجارب، على أنّ جميع أعضاء الجسم، من أمِّ الدماغ الّتي هي مركز الإدراكات ومحلّ ظهور قوى النفس، وحتّى آخر أجزائه الصلبة، تبدأ، من سنِّ الخامسة والثلاثين، أو الثلاثين فما فوق، بالانحدار نحو الانحطاط والنقصان، والاقتراب من الضعف والانحلال. ولكن في هذه الفترة نفسها، أي من سنّ الثلاثين أو الأربعين فما فوق، تزداد القوى الروحية والإدراكات العقلية كمالاً ورقياً وسداداً. ويتّضح من هذا أنّ القوى العقلية ليست جسمانية، إذ لو كانت جسمانية لانحدرت، مثل سائر قوى الجسم، نحو الضعف والوهن. كما لا يمكن القول بأنّ القوى العقلية تزداد قوّة بكثرة أعمال القوّة الفكرية وحصول التجربة، إذ إنّ القوى الجسمانية ينتابها التعب والانحلال، لا القوة والكمال، نتيجة لكثرة العمل وبذل الجهد. وهذا بذاته دليل على أنّ القوى العقلية ليست جسمية ولا من آثار الجسم.

٢- إنّ خصائص النفس وآثارها وأفعالها على النقيض من خصائص الأجسام وآثارها وأفعالها بصورة مطلقة. وهذا دليل على أنّ النفس ليست جسماً. فمثلاً، نحن نعلم أنّ الجسم لا يتقبّل بالضرورة سوى صورة واحدة، وإذا أريد إعطاؤه صورة أخرى كان لا بُدَّ للصورة الأولى أن تفارقه لكي يمكنه تقبل الصورة الثانية. فإذا رسمت مثلاً، صورة على صفحة الورق، لا يمكن رسم صورة أخرى مكانها إلّا إذا أزيلت الصورة الأولى تماماً. وهذا الحكم يجري في جميع الأجسام بالضرورة العقلية.

أمّا النفس فتختلف تماماً، ففي الوقت الّذي تكون هناك صورة مرسومة فيها، يمكن رسم صورة أخرى مضادة لها من دون زوال الصورة الأولى.

٣- إنّ الجسم ترتسم فيه الصور المتناهية. أما في النفس فترتسم الصور غير المتناهية. ولهذا فهي تحكم على الأمور غير المتناهية.

إذاً، يتبيّن أنّ النفس تضاد جميع الأجسام في خصائصها وآثارها وأفعالها. أي أنّ النفس مجرّدة وليست من سنخ الأجسام والجسمانيات، والمجرّدات لا تفسد. وذلك لأنّ الفساد لا يكون من دون مادّة قابلة للفساد، والمجرّدات منزّهة عن مادّة قابلة للفساد. إذ إنّ ذلك من لوازم الأجسام. إذاً، لا تفسد النفس. ومن هنا يستنتج أنّ النفس لا تفسد بفساد البدن وبمفارقتها له، بل تبقى في عالم آخر، ولا تفنى. وهذا هو المعاد الروحي للنفوس والأرواح قبل يوم القيامة إلى أن يشاء الله لها أن تعود إلى الأبدان.

مشروع تعليم الصلاة

أهداف الدرس: يتوقع من الطالب بعد دراسة هذا الدرس:

١. أن يعرف التقوى.
٢. أن يعدد مراتب التقوى.
٣. أن يوضح خطورة مرض النفس وكيفية علاجه.

عن الإمام الصادق عليه السلام:

"كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: نبّه بالتفكّر قلبك، وجافِ عن الليل جنبك، واتّقِ الله ربّك".

معنى التقوى:

التقوى في اللغة من الوقاية. والمقصود منها في الأحاديث **"وقاية النفس من عصيان أوامر الله ونواهيه وما يمنع رضاه"**، فهي ليست مجرّد حفظ النفس عن الأمور الّتي نعلم أنّها معصية، بل هي حفظ النفس حفظاً تامّاً عن الوقوع في المحظورات بترك الشبهات.

وقد ورد في الروايات:

"ومن أخذ بالشبهات وقع في المحرّمات وهلك من حيث لا يعلم"، "فمن رتع حول الحِمى أوشك أن يقع فيه".

التقوى ومراتب الكمال:

إنّ التقوى هي وسيلة لبلوغ مقامات الكمال، ولا يمكن بلوغ أيّ مقام بدونها، فالنفس ما دامت ملوّثة بالمحرّمات، لا تكون داخلة في الإنسانية ولا سالكة في طريقها.

فتقوى العامة إذاً تكون من المحرّمات، وتقوى الخاصّة من المشتهيات، وتقوى الزاهدين من حبّ الدنيا، وتقوى المخلصين من حبِّ الذّات، وتقوى المنجذبين من الالتفات لغير الله...

وهذه المراتب لها تفاصيل لن ينال منها أمثالنا سوى الحيرة والضياع في المصطلحات، والبقاء في حجب المفاهيم. فالمهمّ بالنسبة لنا التركيز على تقوى العامة.

مرض النفس:

اعلم أيُّها العزيز أنّه مثلما يكون لهذا الجسد صحة ومرض، وعلاج ومعالج، فإنّ للنفس الإنسانية أيضاً صحة ومرضاً، وسقماً وسلامة، وعلاجاً ومعالجاً. إنّ صحة النفس وسلامتها هي الاعتدال في طريق الإنسانية، ومرضها وسقمها هو الاعوجاج والانحراف عن طريق الإنسانية، وإنّ الأمراض النفسية أشدّ فتكاً آلاف المرّات من الأمراض الجسمية. وذلك لأن هذه الأمراض إنّما تصل إلى غايتها بحلول الموت. فما أن يحلّ الموت، وتفارق الروح البدن، حتّى تزول جميع الأمراض الجسمية والاختلالات المادّية، ولا يبقى أثر للآلام أو الأسقام في الجسد. ولكنّه إذا كان ذا أمراض روحية وأسقام نفسية لا سمح الله فإنّه ما أن تفارق الروح البدن، وتتوجّه إلى ملكوتها الخاص، حتّى تظهر آلامها وأسقامها.

من المعلوم أنّ ضرر المحرّمات أكثر تأثيراً في النفس من أيّ شيءٍ آخر، ولهذا كانت محرّمة، كما أنّ الواجبات لها أكبر الأثر في مصلحة الأمور، ولهذا كانت واجبة وأفضل من أيّ شيء، ومقدّمة على كلّ هدف، وممهِّدة للتطوّر إلى ما هو أحسن.

إنّ الطريق الوحيد إلى المقامات والمدارج الإنسانية يمرّ عبر هاتين المرحلتين، بحيث إنّ من يواظب عليهما يكون من الناجين السعداء، وأهمّهما هي التقوى من المحرّمات، وإنّ أهل السلوك يحسبون هذه المرحلة مقدّمة على المرحلة الأولى، إذ يتّضح من الرجوع إلى الأخبار والروايات وخطب "نهج البلاغة" أنّ المعصومين عليهم السلام كانوا يعتنون كثيراً بهذه المرحلة.

إذاً، أيُّها العزيز! بعد أن عرفت بأنّ المرحلة مهمّة جداً. ثابر عليها بدقّة، فإذا أنت خطوت الخطوة الأولى وكانت صحيحة، وبنيت هذا الأساس قوياً، كان هناك أمل بوصولك إلى مقامات أخرى، وإلّا امتنع الوصول، وصعبت النجاة.

خلاصة الدّرس:

- التقوى: "وقاية النفس من عصيان أوامر الله ونواهيه وما يمنع رضاه" فهي ليست مجرّد حفظ النفس عن الأمور التي نعلم أنّها معصية، بل هي حفظ النفس حفظاً تاماً عن الوقوع في المحظورات بترك الشبهات.

- التقوى وسيلة لبلوغ مقامات الكمال، ولها مراتب: تقوى العامّة تكون من المحرّمات، وتقوى الخاصّة من المشتهيات، وتقوى الزاهدين من حبّ الدنيا، وتقوى المخلصين من حبّ الذّات، وتقوى المنجذبين من االلتفات لغير الله تعالى.
- مرض النفس أشدّ خطورة من مرض الجسد، فمرض الجسد تذهب آلامه بالموت، أمّا مرض النفس فتبقى آلامه إلى ما بعد الموت.
- الراغب في صحة نفسه عليه بأمرين:
  - الأوّل: الإتيان بما يصلح النفس (الواجبات)
  - الثاني: الامتناع عن كلّ ما يضرّها (المحرّمات)